

DOI: 10.54240/2318-014-001-008

الشيخ بوعمامة في صحيفة البرهان المصرية

Cheikh Bouamama in the Egyptian newspaper Al-Burhan

اسم ولقب المؤلف المرسل: عبد القادر خليفي - khelifi Abdelkader صص 154- 185

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي متقاعد- جامعة وهران 1- الجزائر.

البريد الإلكتروني: khelifi.abd2009@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2023/12/16.. تاريخ المراجعة: 2024/01/07.. تاريخ القبول: 2024/03/11..

الملخص: يتمثل هذا العمل في عرض مضمون مقال صحفي حول مقاومة الشيخ بوعمامة في صحيفة مصرية تدعى البرهان والصادرة في الإسكندرية سنة 1881. وهي صحيفة وطنية أسبوعية صدرت في 5 ماي من سنة 1881 لصاحبها معوض محمد فريد ورئيس تحريرها الشيخ حمزة فتح الله، تم نقل مقرها في عامها الثالث من مدينة الإسكندرية إلى القاهرة عاصمة الديار المصرية. تميزت جريدة البرهان بالاعتدال في الرأي والسياسة، كانت تقدم النصح للعربيين مينة لهم سوء الحالة في البلاد بلسان العقل والدين.

سنتعرف في هذا العمل على رأي الآخر في هذه المقاومة الجزائرية وبخاصة وأنه من مصر الشقيقة للجزائر. ما هو موقفه؟ وكيف حلل الحادثة؟ وفي الوقت نفسه سنناقش بعض القضايا والشخصيات والأماكن الواردة في المحتوى سواء منها الموافقة للواقع أم المناقبة له من وجهة نظرنا. فمن المواقع سنتطرق للتعريف بجيريفيل ومغرار وفكيك. ومن الشخصيات سنتعرض للضباط الفرنسيين مثل إينوسنتي وديتري وسيريز ومن الجزائريين المقاومين نذكر قدور بن حمزة وسليمان بن قدور، وبخاصة علاقة هتين الشخصيتين بالشيخ بوعمامة لأهميتها الكبيرة على سير المقاومة بعامة. كما سنناقش مصدر معلومات الصحيفة، وسنخرج بنتيجة هامة وهي السمعة التي اكتسبها الشيخ بوعمامة داخليا وخارجيا من جهة، ولدور الصحافة في نشر المعلومة وكيفية تقديمها للقراء من هذا الطرف أو ذاك من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: البرهان- بوعمامة- فرنسا- المواجهة- الجزائر- جيريفيل- مغرار- إينوسنتي- شركة الحلفاء.

Summary: This work consists of presenting the content of a newspaper article on the resistance of Cheikh Bouamama in an Egyptian newspaper called Al-Burhan, published in Alexandria in 1881. It is a national weekly published on May 5, 1881 by its owner, Moawad Muhammad Farid, and its editor-in-chief, Cheikh Hamza Fathallah. Its headquarters were transferred that year, the third being from the city of Alexandria to Cairo, the capital of Egypt. The Al-Burhan newspaper was characterized by moderation of opinion and politics, it gave advice to the Orabieans, explaining to them the bad situation in the country through the language of reason and religion.

In this work, we will know the other's opinion on this Algerian resistance, especially since he is originally from Egypt, Algeria's sister country. What is his position? How did he analyze the incident? At the same time, we will discuss certain issues, characters and places mentioned in the content, whether they agree with reality or contradict it from our point of view. Among the sites, we will discuss the definitions of Geryville, Moghrar and Figuig. Among the personalities, we will be exposed to French officers like Innocenti, Détrie and Serez, and among the Algerian resistance fighters we will cite Kaddour ben Hamza and Slimane ben Kaddour, in particular the relationship of these two figures with Cheikh Bouamama. We will also discuss the source of the newspaper's information and we will arrive at an important result, which is the reputation that Cheikh Bouamama has acquired internally and externally on the one hand, and the role of the press in the dissemination of the information and how to present it to readers of one party or another

Keywords: Al-Burhan- Bouamama- France- Confrontation- Algeria- Geryville- Moghrar- Innocenti- Alfa Company.

مقدمة: الشيخ بوعمامة هو أحد زعماء المقاومات الشعبية التي واجهت التوغل الفرنسي الاستعماري في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين في الفترة ما بين سنتي 1881 و 1908. هو زعيم صوفي صبور، وقف في وجه التوسع الفرنسي بالجزائر نحو الجنوب الغربي أكثر من عشرين سنة، قاد حركة مسلحة فيها المواجهة وفيها الكر والفر، اتسمت بتبادل الرسائل بين الطرفين. وجه الشيخ خلالها رسائله إلى مختلف الجهات الصديقة منها والمعادية، مدافعا عن أتباعه مراوفا السلطة الفرنسية بطلب الأمان حيناً ومؤجلاً حيناً آخر. انتقل من منطقة جبال القصور نحو بلاد دلدول جنوباً، ومن دلدول هاجر إلى الأراضي المغربية، مروا بمدينة فكيك، ليستقر في عيون سيدي ملوك غرب مدينة وجدة حتى وفاته سنة 1908.

كتبت عنه الصحافة الفرنسية وبعض الصحف الأجنبية كالتايمز اللندنية والبوكا الإسبانية والصحافة الإيطالية (Fratellanza universale) وترجمان الحقيقة التركية. سنتعرض في هذا العمل للتعريف بصحيفة البرهان وما تضمنته من معلومات حول مقاومة الشيخ بوعمامة عند انطلاقها سنة 1881 من الجنوب الغربي من الجزائر، وكيف واجهتها السلطات الفرنسية، ثم نناقش بعض ما ورد في المقال من عناصر مهمة تتطلب الإيضاح والتعليق مع ما يتماشى وواقع الأحداث من جهة، أو ما يتنافى معها من جهة أخرى، لنتحدث بعد ذلك عن شخصيات وأماكن ذكرت في المقال، كما سنناقش المصادر البحثية التي اعتمدها كاتب المقال.

أولاً: التعريف بصحيفة البرهان شكلاً ومضموناً: هي صحيفة وطنية مصرية عمومية تصدر يوم الخميس من كل أسبوع. اعتمدنا في معلوماتنا عنها على كتاب "تاريخ الصحافة العربية" لفليب دي طرازي، الذي خصص بعض الصفحات لصحف مدينة الإسكندرية ذكر من صحفها في الفترة ما بين سنتي 1881 و1886 خمس جرائد، جاءت على الترتيب التالي: الاتحاد المصري- البرهان- الطائف- روضة الإسكندرية- الاعتدال. ففيما يخص جريدة البرهان التي نحن بصدد التعريف بها، نختصر ما جاء عنها في التالي:

امتازت جريدة البرهان بالاعتدال في الرأي والسياسة، كانت تقدم النصح للعربيين¹ مبنية لهم سوء الحالة في البلاد بلسان العقل والدين. وأن "هذه الصحيفة الوطنية الأسبوعية صدرت في 5 أيار (ماي) 1881 لصاحبها معوض محمد فريد ورئيس تحريرها الشيخ حمزة فتح الله، انتقل مقرها في عامها الثالث إلى عاصمة الديار المصرية (القاهرة)، وصارت تصدر مرتين في الأسبوع، وكان حينئذٍ يدير شئونها يوسف شيت ويحرر فيها أحمد سمير، ثم تولى الشيخ البشير الغمار التونسي رئاسة تحريرها مدة من الزمن، وقد قرظها عند ظهورها السيد إبراهيم سراج الدين المدني صاحب جريدة «الحجاز» في القاهرة بهذين البيتين:

أرى مصرَ قد فازتْ بكلِّ فضيلةٍ فليسَ لها في الشرق والغرب أشباهُ

1 - الغرابيون نسبة إلى أحمد غرابي الذي قاد الثورة ضد الخديوي توفيق الذي استبد بالحكم واضطهد الوطنيين المصريين ومال إلى بريطانيا، وقد استجاب الخديوي أول الأمر لمطالب الثوار وتم تعيين محمود سامي البارودي رئيساً للحكومة وأحمد عرابي رئيساً للحزب، وقد توالى الأحداث، ووقف الخديوي بناصر النفوذ البريطاني، وقد تدخل الجيش البريطاني وأنهى حكم الوطنيين واحتل البلاد المصرية 1882، التي لم تستقل سوى سنة 1922 استقلالاً شكلياً.

فَمَنْ أَنْكَرَ التَّمْدِينَ فِيهَا فَحَمَزَةٌ بِجُرْنَالِهِ «الْبُرْهَان» يَقْطَعُ دَعْوَاهُ.¹

أما عن شكلها الخارجي فيتصدر الصفحة الأولى رسم هلال في داخله نجمة خماسية في أعلى وسط الصفحة الأولى. وفي أسفلها رسم لكلمة "البرهان" بخط غليظ مزين داخل وردة. وفي الأسفل مباشرة كتب: (صحيفة وطنية عمومية) وكتب تحتهما: تصدر يوم الخميس من كل أسبوع. وعلى اليمين كتبت قيمة الاشتراك واسم مديرها (معوض محمد فريد) وتحت اسم المحرر (حمزة فتح الله). وعلى اليسار تم ضبط كيفية الاتصال بالصحيفة وتوضيح عمليات الاشتراك. وفي أسفل الصفحة الأولى هذه نجد: طبع بالإسكندرية بمطبعة البرهان في 9 رمضان المعظم 1298 هـ الموافق لـ 4 أغسطس 1881 م، وبعدها مباشرة تبدأ المقالات في الصفحة الأولى نفسها.

تتميز أوراق الصحيفة بحجمها الكبير مثلما كانت عليه الجرائد في بدايات ظهورها، وتتكون من أربع صفحات تتناول مواضيع متنوعة نسبيا كالسياسة داخليا وخارجيا وكالثقافة والتاريخ.. ففي هذا العدد ذكرت مجموعة من المواضيع السياسية منها -بالإضافة إلى حركة الشيخ بوعمامة (صفحتا 2 و3)، هناك عناوين أخرى في الجريدة نفسها مثل: (حزب الحرية في إنكلترا)- (الحوادث الخارجية)- (الروسيا)- (الطاعون بالروسيا). وفي الحوادث الداخلية نجد العناوين التالية: (ورد لنا من بعض أفاضل الثغر ما نصه) و(من جمعية التوفيق الخيري بمصر) و(إعلان)، وهي عناوين وضعت كل منها بين قوسين.

تكتب المقالات على شكل أعمدة من الأعلى إلى الأسفل من كل صفحة، وتستعمل الأرقام الهندية مثلما هو معمول به اليوم في المشرق العربي. كما تستعمل الأقواس باستمرار داخل المقالات وبخاصة العناوين الفرعية. وفي نهاية الصفحة الرابعة والأخيرة كتب ما يلي: محرره حمزة فتح الله. صاحب امتياز معوض محمد فريد.

ثانيا: عرض النص يتكون النص الوارد في الصحيفة من ثلاثة عناوين فرعية سنتبعها كما جاءت حرفيا دون تغيير.

1- الموقع الإلكتروني: (hindawi.org) بعنوان: "أخبار جرائد الإسكندرية من سنة 1881 إلى سنة 1886" اطلع عليه يوم 28 أوت 2023 الساعة 14 مساء. من كتاب "تاريخ الصحافة العربية"، لفلبيب دي طرازي، مؤسسة هندواي. (PDF)

- (أبوامامة) يبدأ كاتب المقال بالتعريف بالرجل قائلا: "هو زعيم الثائرين من أهل الجزائر على حكومة فرنسا، وقد ذاع صيته في الأفاق وانتشر له ذكر جميل وحصلت بينه وبين الجنود الفرنسية في هذه الأيام الأخيرة وقائع هي في الحقيقة ذات أهمية لمن أمعن النظر فيها منصفًا. وقد وقفنا في الجرائد الأخيرة على ترجمة حاله وتفصيل بعض وقائعه فأحببنا تعريبها ليعلم قراء البرهان حقيقة ذلك الرجل."¹

-(ترجمة حاله) "هو رجل من أهل الدين والصلاح معتقد عند أصحابه وفي جميع الجهات التابعة له في الصحراء، وهو فيما يقولون من ذوي الإلهام الإلهي. أنه قصير القامة لأن طوله لا يتجاوز مترا واحدا وخمسين سنتي متر (كذا)، حسن الهيئة ذو منظر ينطق عليه بالذكاء وجودة الفطنة، وهو حاد العينين، صغير الأنف غليظ الشفتين مسمر اللون خفيف اللحية، سريع الحركة مولع بهجاء الغير، شهم الجنان شديد السطوة على جيوشه غير أنه لين العريكة مع من يلازمه منهم. وأما حرسه الخصوصي فمؤلف من عشرين تلميذا من أتباعه لا يُمكنون أحدا من أن يقترب منه، وهم في غاية العناية به والإخلاص في محبته.

وأما إلمامه بالمعارف فإنه يحسن اللغة الإسبانية (كذا) غاية الإحسان ويتكلم بها على وجه الصحة، ويتكلم أيضا من اللغة التليانية (كذا) بما فيه الكفاية، ويفهم جيدا معنى الكلام باللغة الفرنسية وإن كان لا يتكلم بها. وأما عنايته بالديانة فقد حج مرارا إلى مكة المكرمة حجرات متتالية وفي كل واحدة منها يمر بتونس ويقوم مدة طويلة.

وأما وقائعه مع الفرنسيين فإنه لم يقتدح زناد الثورة عليهم ولا خاض بحار تلك الهيجاء، حتى تجول بنفسه في جميع حدود الجزائر وشاهد كافة مواقعها الحربية وأحسن الوصلة والمحبة مع الجمع الكثير من كبار القواد الفرنسيين وأمورهم المدنية والعسكرية ومع استحكام تودده إليهم وتردده عليهم فإنهم لم يعلموا من هو ذلك الرجل ولا وقفوا على شيء من مقصده. ولقد أحكم في طرف الجنوب الغربي من جهة (فيكيك) حصنا حصينا لجأ إليه بعد القهقري من تجاه الجيش الفرنسي وادخر فيه مهمات وذخائر تكفيه مدة ثلاثة شهور.²

1 - جريدة البرهان (المصرية) عدد 14/ السنة الأولى/ الإسكندرية في: 9 رمضان 1298 هـ/ 4 أغسطس 1881 م.

2 - كتبت الصحيفة اسم المدينة هكذا: (فيكيك)، بينما يكتبها المغاربة حاليا بالجمع هكذا: (فجيج). وتكتب باللغة الفرنسية هكذا: (Figuig).

ولما أبلغه جواسيسه الذين بثهم في تلك الأنحاء ليكتشفوا له الأخبار أن الجيش الفرنسي ينتظر استهلال شهر أيلول القادم ليقتفي آثاره ولا ينفك عن تتبعه إلى النهاية، قال ما معناه أني أقبل عهد ملاقة ذلك الجيش في الزمن المعين وأنه يمكن لرجالي أن تنتظر حلول ذلك الأمر غير أنه بالنسبة لشخصي لا يمكنني الوعد بعدم استعمال الوسائط والسعي في إنفاذ اسراءى (كذا) الذين في قبضة القائد (ابريناتيار)، ثم إنه لا يعقب سوى ولد واحد سنه الآن نحو العشرين عاما، وهو يلزمه في غزواته ويعينه على أعدائه.¹

-(وقائعه مع جيوش فرنسا) قال مكاتب التيمس ما معناه أن أبا أمامة قد أصبح عبد القادر الثاني² ولا بأس أن نذكر أعماله عند تجديد الحكومة الفرنسية وسائل القبض عليه. أما مقر أبي أمامة المذكور (مغار)، وهي واحة (مجتمع نخيل) تبعد عن جيريفيل نحو مائتي كيلومتر. وفي منتهى (أبريل) عبر بعض رجاله الرمال الدقيقة المغطاة بنحو القدمين من الماء الجاري من الشرق إلى الغرب. وفي وسط تلك الرمال مكان يسمى (سعيدة) وهو مركز زراعة الحلفاء، وهي النبات الذي يصنع منه الورق، فأثاروا قبيلة هناك على العصيان فأمرت الحكومة الفرنسية العساكر المحلية في سعيدة بالهجوم عليهم فانكسرت العساكر وقتل أحد قوادهم، فبعث إليهم الجنرال سرز أربع فرق لتحيط بأبي أمامة، فسارت الفرقة الأولى تحت قيادة الكولونل أونسنتي؛ فحمل عليهم أبو أمامة وغنم جميع مهماتها، وقتل من عساكرها نحو المائة جندي وجرح منهم نحو ذلك القدر، قال الكاتب المذكور فهذه رزية لم يدهم الفرنسيون بمثلها في الجزائر منذ سنين كثيرة فتقهقر من بقي من تلك الفرقة بسرعة، ثم أخلف أبو أمامة سيره المنتظر واكتفى بإقامة خط من جنود المناوشة واثثنى إلى جهة الشرق فهيج القبائل هناك، ومال بجنوده بغتة إلى جهة الشمال، ومر بين الصفوف الفرنسية حتى اقتحم الأماكن المزروعة (فرندة) و(سعيدة)، وبلغ مقاطعة الحلفاء وليس بها عساكر فرنسية، فحمل على

1- المقصود بذلك هو ابنه الطبيب (1867-1935) الذي عاش مختلف مراحل جهاد والده الشيخ بوعمامة، وخلفه على الطريقة الشيعية بوضعية موثقة بعد وفاته سنة 1908 بعيون سيدي ملوك بالمغرب الأقصى. (عن أحد أحفاده: بوعمامة حمزة بن عبد الحاكم بن الطبيب بن بوعمامة، شيخ الطريقة الحالي (2023)، المواجهة بوهان في ماي 2005 عند زيارته الجزائر رفقة ابنه بلخزمة).

2- شبه الكاتب الشيخ بوعمامة بالأمير عبد القادر، أول قائد جزائري واجه الاحتلال الفرنسي (1832-1847) عند دخوله الأرض الجزائرية بعد انسحاب السلطة العثمانية، وأقام دولة جزائرية خالصة بكل قوماتها ونجح في ذلك إلى حد كبير لولا سياسة الأرض المحروقة التي اتبعتها القوات الفرنسية المعتدية.

من فيها وكانت خسائرهم على حسب تقرير شركة الحلفاء سبعمائة رجل بين قتيل وأسير، وقد كان الجنرال انوسنتي قائد إحدى الفرق الأربع السابقة الذكر قد رجع إلى جيريغال في انتظار أبي أمامة لأنه اعتقد هجومه عليها غير أن أبا أمامة قد عدل عنها إلى شركة الحلفاء كما ذكرنا، كما أنه قد تحرز من بقية الفرق الأربع حتى رجع إلى سعيدة، وأحرق في طريقه قريتين، ثم وصل برجاله إلى وراء تلك الرمال بدون أن يلقي معارضة.

وذكر في الديباجة أنه لم يفز زعيم عصاة قبل أبي أمامة بأن يسوق أمامه 300 أسيرا ورباوي (كذا) وألف مركبة مشحونة بالشعير والحنطة وجميع أنواع المهمات حتى شخصت له أبصار القبائل في تلك الصحراء وبهرت عقولهم. إلى أن قالت والظاهر أنه لا يعلم الآن مقر أبي أمامة حتى للقواد الفرنسية، غير أنه بعث إلى الجنرال دتري خطابا يرغب إليه استبدال الأسارى كل عشرة من الفرنسيين بواحد من العرب، قالت إلا أن الظاهر أن مأموري الجزائر يميلون إلى الافتداء بالنقد، وقد تألف الآن خمس فرق فرنسية يبلغ عدد كل واحد منها إلى 1200 نفر، غير أن شدة الحر تمنعهم عن الجولان والخط هناك طويل حتى أنه يخشى من المرور فيه بثلاثمائة فارس.

قالت وقد قد خبر أبو أمامة رئيسين مهمين بالاتحاد معه على الثورة فإن أجاباه إلى ذلك فإن قوته تكون في غاية الأهمية.¹

رابعاً: التحليل والتعليق على مضمون المقالة: تضمنت المقالة ثلاثة عناوين فرعية- كما ذكرنا سابقاً- جاءت- وبدون ترقيم- على الشكل التالي: 1- أبو أمامة. 2- ترجمة حاله. 3- وقائعه مع جيوش فرنسا.

العنوان الأول: جاءت تسمية الشيخ بوعمامة بـ"أبو أمامة" كترجمة عن الحروف اللاتينية (Bouamama)- لأن الصحيفة استقت معلوماتها من جريدة التايمز البريطانية التي تستعمل لغتها الإنكليزية ذات الحروف الأجنبية، وذلك لعدم وجود حرف العين في تلك اللغات فاستبدلته بحرف الألف.

وقد تضمن هذا العنصر تقديم الشخصية بأنه نائر من بلاد الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، ويوضح الكاتب سبب التطرق إلى هذه الشخصية بقوله: "وقد وقفنا في الجرائد

1 Archives nationales d'outre mer (ANOM), Aix-en-Provence. Cote : 30H78.

الأخيرة على ترجمة حاله وتفصيل بعض وقائعه فأحببنا تعريبها ليعلم قراء البرهان حقيقة ذلك الرجل." وعند التطرق إلى محتوى هذا العنصر نجد الكاتب لم يبتعد كثيرا عن صفات الرجل، فهو رجل صاحب إلهام إلهي؛ وتفسير ذلك هو التصوف الذي كان يتبعه الشيخ باعتباره مقدما ثم شيخا للطريقة الشيعية،¹ وعمله على نشر أواراد الطريقة والدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، وهو ما عرف به الشيخ بين سكان المنطقة الجنوبية الغربية من الجزائر، بعد استقراره في بلدة مفرار التحتاني سنة 1875، وأنه كان رفيقا بأصحابه حسن المعاملة معهم. كل هذه المعلومات يشير إليها رواة الشيخ، كما لمسنا ذلك خلال جمعنا للروايات الشفوية حول هذا الرجل في التسعينيات من القرن العشرين.

يصفه الرواة بأنه صاحب علم موهوب وأنه رجل علم وكرم وخلق قويم. يقول أحدهم: "سيدي بوعمامة عنده خصائل: البركة والرصاص والطعام." ويقول في مكان آخر: "سيدي بوعمامة كان من أهل الله وأهل البارود وأهل الطعام وأهل العلم."² ويقول آخر أنه كان يدعو إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، بينما كان زعماء أولاد سيدي الشيخ الآخرون يريدون السلطة "كانوا أصحاب دنيا"، والقصد بهؤلاء أبناء سي حمزة بن بوبكر المتوفى سنة 1861 بالجزائر، وهم سليمان وأحمد ومحمد وقدرور، الذين قاوموا الفرنسيين بين سنتي 1864-1883، بالإضافة إلى سي سليمان بن قدور أحد زعماء أولاد سيدي الشيخ الغرابية،³ وقد عاصر هؤلاء حركة الشيخ بوعمامة في نهاية القرن التاسع عشر وفي المنطقة نفسها.

العنوان الثاني: عن الشيخ بوعمامة ويشتمل على عدة مواضيع، منها:

1- وصف الصحفي الشيخ بأنه كان قصير القامة، وقد أصاب في ذلك، وهذا استنادا على ما جاء في الروايات التي تم جمعها في التسعينيات الماضية، يقول أحد الرواة من أولاد سيدي الشيخ أنه الشيخ كان قصير القامة، ويظهر هذا وهو على سرج جواده (رقيق حسن السابق الذكر). كما يظهر ذلك من الحذاء (البُلغة) الذي اطلعنا عليه سنة 1995 عند إحدى العائلات (أولاد رايح) من بلدة تيوت التي كان يزورها بين الحين والآخر. وقد وصفه بالذكاء والفتنة،

1 - الشيعية طريقة صوفية شاذلية أسسها الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف بـ "سيدي الشيخ" المتوفى سنة 1616م ببلدة الأبيض سيد الشيخ بولاية البيض بالجزائر. يتواجد مريدوها في الغرب الجزائري وفي الشرق المغربي على الأخص، ولها فروع في بعض البلاد الأوربية كفرنسا.

2 - الدايم جلول بن أحمد، 84 سنة، "طالب" المقابلة في بلدة مفرار التحتاني شهر أوت سنة 1996.

3 - رقيق حسن بن محمد، 61 سنة، من أولاد سيدي الشيخ، المقابلة بوهـران في أوت 1995.

وقال عنه: كان "حاد العينين صغير الأنف غليظ الشفتين خفيف اللحية..." وإذا كنا لا نعلم كثيرا عن بعض هذه الصفات، فإننا نتحفظ على عبارة "غليظ الشفتين"، لأن هذا يُذكرنا بما هو متداول اليوم ومطبوع في الكتاب المدرسي لمستوى التعليم الابتدائي في المدرسة الجزائرية؛ حيث وضعت صورة أحد مساعديه من ذوي البشرة السوداء والمدعو "الدقلة" وكتب أسفلها بوعمامة.

وينفي الرواة الشيخيون وأتباع الطريقة الشيخية أن يكون هذا الشخص هو بوعمامة، عند لقائنا بهؤلاء؛ وقد تم قتل خادمه هذا في إحدى معارك الشيخ وهو مقيم في ملجئه الأخير بنواحي وجدة المغربية، وأن رأسه علقت على جدار المدينة مع من قتل من رفاق الشيخ في معاركه هناك ضد قوات المخزن، وها هو بوعمامة بلحمة ابن الشيخ الحالي لزاوية عين بني مطهر (سي حمزة) يمدني بصورة لمجموعة من الرؤوس معلقة على سور مدينة وجدة، وصحب ذلك بالتعليق التالي: "صورة لرؤوس بعض الشهداء المجاهدين مع الشيخ بوعمامة معلقين على سور مدينة وجدة حوالي سنة 1905، وفيهم السيد بن عبد الله والفنيش أحمد والدقلة وغيرهم..."¹.

وها هي كاتبة فرنسية تذكر ذلك، وتسمي الشخص بهذا الاسم نفسه، أي "الدقلة"، على أن صحفيان إسبانيان وصلا مخيم الشيخ وهو مقيم في دلدول، واستقبلهما خادمه الدقلة بعد أن اعتذر الشيخ عن استقبالهما، وهناك أخذاه له صورة. "وفي الشهر الموالي ظهر الدقلة صحيفة مقال في صحيفة (L'illustration) مع التوضيح التالي: "بوعمامة زعيم انتفاضة الجزائر من صورة فتوغرافية لـ (MM. Guyot et Nicora) في أليكانت."²

ويقول أحد الرواة: لقد شوه الفرنسيون طريقة الشيخ الصوفية كما صوروا "الدقلة"، وهو الخادم المساعد للشيخ، على أنه بوعمامة. بينما الشيخ من الجنس الأبيض وأولاده بيض

1 - أمدا السيد بوعمامة بلحمة - ابن الشيخ حمزة شيخ الزاوية الشيخية بعين بني مطهر بالمغرب الأقصى - ببعض الوثائق عند زيارته للجزائر مرورا بوهان في ماي 2005.

-Arlette Welty-Domon, J'inventerai mon peuple, les éditions de Paris 1995.P : 190.2

تبين الكاتبة أن قيو صحفي ونيكورا مصور.

السحنة من أولاد سيدي التاج. وكل من رأى الصورة يظن أن الشيخ سوداني، ويضيف أن الفرنسيين قالوا إنه جزائري أو مغربي أو إفريقي...¹.

2- عن معرفته اللغات الأجنبية يتحدث الصحفي، ويذكر أن بوعمامة يتحدث عدة لغات يختلف مستواه فيها من لغة إلى أخرى. واللغات هي الإسبانية والإيطالية والفرنسية. لقد بالغ الصحفي في هذا، إذ كيف للشيخ أن يتقن كل هذه اللغات ولو باختلاف المستوى من لغة إلى أخرى في ذلك الزمن، وهو مقيم في الجنوب الغربي الجزائري الذي لم يكن الاحتلال الفرنسي قد سيطر على المكان واستقر به بعد، ولم يكن هناك تعليم رسمي للجزائريين، إنما كانت هناك مدارس قرآنية تعطي تعليما تقليديا. فالشيخ جاء من بلدة فكيك المغربية سنة 1875 التي لم يكن قد وصلها الفرنسيون بعد، واستقر في بلدة مفرار التحتاني، واشتغل بتعليم السكان القرآن الكريم وأمور دينهم ونشر الأوراد الشيخية بينهم. فأئى له ذلك وهو لا يتقن اللغة العربية جيدا، التي هي لغة الوطن والدين إتقاناً مرضياً، بل يغلب على رسائله اللهجة العامية في أسلوب ركيك، لكنه يناسب الفترة الزمنية التي غابت فيها الدولة الوطنية، وكان التعليم القرآني التقليدي هو المنتشر بين قبائل وحواضر المنطقة. فمن أين جاء الصحفي بهذه المعلومة؟ وقد أصبح العديد من الكتاب الجزائريين يستندون على هذا القول، وقد حضرت مداخلات من هذا النوع مرارا.²

3- جاء في المقالة أن الشيخ حج عدة مرات، وأنه كان يمر بتونس كل مرة ويقوم بها فترة طويلة. ومن خلال اطلاعنا على الروايات الشعبية- مثلا- لم يصادفنا ذكر لحج الشيخ ولو كان ذلك واقعا ما تركه الرواة، وهم يبحثون عن كل شيء مهم ليلبسوه للشيخ. وبخاصة صعوبة السفر برا ونقص الإمكانيات. لقد حاورنا عددا من الرواة الذين شارك أبائهم في مقاومة الشيخ، وشارك أجداد آخرين فيها ورووا لهم ما تمكنوا من تذكره عن حياته وعن حركته. وكيف يحج في فترة كان منشغلا بالمقاومة والجهاد متنقلا من مكان إلى آخر، مع الإشارة إلى ما يتطلبه الحج من إمكانيات بعامة وفي ذلك الوقت بخاصة. وإذا أخذنا مثالا عن قضية الحج فسنجد ابنه الطيب

1 - الزوي محمد الطيب بن المختار، 54 سنة، من أولاد سيدي الشيخ مدير المدرسة القرآنية بزاوية الابيض سيد الشيخ المركزية (سنة 1995).

شيخ زاوية السخونة حاليا 2023، المقابلة في الابيض سيد الشيخ سنة 1995. وهو أيضا باحث في تراث الشيخية وفي تاريخ الشيخ بوعمامة.

2 - أورد عبد الحميد زوزو في كتابه ثورة بوعمامة 1881-1908، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، في جزئه الأول ما ورد في الصحيفة المصرية في هذا الشأن، ص: 41-42. كما استغل بعضهم هذا في مداخلاتهم التاريخية لا مجال لذكرهم.

ووارث سره وخليفته على الطريقة الشيعية الصوفية، ورغم أنه استقر بعد كفاح مرير صحبة والده حتى سنة 1908؛ فإنه لم يؤد مناسك الحج إلا بعد سنوات طويلة بعد ذلك التاريخ، وهو قبيل وفاته بقليل، وذلك في 3 من شهر صفر من سنة 1354 هـ الموافق لـ 7 ماي سنة 1935 وعمره آنذاك 68 سنة، "وقبره في مسجده الخاص بزاويته الكبيرة المشهورة من أول سلفه".¹ وتوفي -كما يقول بلحرمة أحد حفدته- بعد رجوعه من الحج بخمسة عشر يوما فقط.

4- تحدثت الصحيفة عن قيام الشيخ بعدة زيارات لبلدات عديدة في القطر الجزائري للتعرف على المواقع الحربية وربط المحبة مع الناس، وأنه اتصل ببعض القادة المدنيين والعسكريين الفرنسيين وتودد إليهم، وهم لا يعلمون ما كان يدبره سرا، كما أنه أحكم حصنا منيعا في بلدة فكك يلجأ إليه عند الضيق وأنه ادخر فيها مؤونة تكفيه ثلاثة شهور كاملة.

فأما جولاته المتكررة بين قبائل المنطقة فلا غبار عليها، لقد جال الشيخ مناطق مختلفة من البلاد وبخاصة في الغرب الجزائري، لكن تلك الزيارات كانت لأهداف التعرف على الأوضاع العامة ونشر أوراد الطريقة والدعوة إلى الجهاد، ولم يكن الهدف الاستقرار فيها والاستفادة من تعلم اللغات الأجنبية. وأما اتصالاته ببعض القادة الفرنسيين فلا ندري كيف يمكن لهؤلاء استقبال شخص من غير جنسهم -بحسب سلوكياتهم تجاه الجزائريين- وتحت أي ظروف يستقبلونه، وبخاصة وهو شخص مجهول لديهم قبل أن يعلن الجهاد سنة 1881. لقد رأينا ه ينتدب لتمثيله لدى الفرنسيين ابن عمه أحمد بن لمنور أحيانا، وكانت له "علاقات تجارية مع بعض التجار الفرنسيين الساكنين ببعض القرى المتقدمة مثل التاجر الفرنسي بورني (Bournier) الذي كان يكتري إبله ويؤلف منها قوافل يحملها بالبضائع ويرسلها تجوس خلال ديار الأعراب وخيماهم بالصحراء".² كما استعمل بوعمامة الدكتور زيناريس (Zinaris)، الذي راسله سنة 1895، للتوسط بينه وبين السلطين الفرنسية والمغربية لشرح موقفه تجاه كل منهما ومن أجل إعادة الاعتبار لبوعمامة بالاحترام اللازم.³

1- ضبط وفاة الحاج الطيب بن بوعمامة من قبل ابنه السيد عبد الحاكم. (عن حفيده بوعمامة بلحرمة عند زيارته لوهران سنة 2005).

2- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية 1979، ص: 91.

3- عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 25.

وقد تمكنت وأنا أجمع روايات حركة الشيخ من تسجيل إحدى جولاته لمدينة تلمسان، نستشف ذلك من الرواية التي سمعتها من وكيل ضريح سيدي بومدين، هذا الأخير المدفون في حي العباد بتلمسان.¹ يذكر أن والده أخبره بأن بوعمامة زار سيدي بومدين (وهو لا يدري هل تم ذلك في سنة 1871 أو 1881)، وأنه جاء على ظهر حصان من الجهة الشرقية خفية، عكس الجهة الغربية التي كان يأتي منها الزوار الآخرون. وأنه ذبح عجلا وأقام مأدبة (وعدة) دعا إليها السكان وقسم بينهم اللحم. وكانت السلطات الفرنسية تتبع أخباره، وعندما علمت بذلك استبدلت وكيل الضريح بغيره. وأن التاج بلخُرمة ابن عم الشيخ بوعمامة الذي افتتح زاوية في بلدة ماجنطة (الحصيبة) من ولاية سيدي بلعباس، سار على هذا الدرب، فكان يذبح عجلا عند ضريح سيدي بومدين كل سنة ويوزع لحمه على الناس، وأن الشاهد حضر مجيئه في الثلاثينيات من القرن العشرين.²

وقد استمرت المودة بين الشيخ بوعمامة والضريح وصاحب الضريح إلى ما بعد ذلك، وها هو يبعث برسالة إلى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 15 ربيع الثاني 1318هـ الموافق لـ 12 أوت 1900، يطلب منه فيها تعيين المدعو النجار أحمد بن حسين القاطن بتلمسان كمقدم على الضريح: "... نحب من سيادتكم العالية تتكرم على المعلم النجار أحمد بن حسين القاطن وقته بتلمسان بالتقدم (كذا) على سيدي أبي مدين الغوث، يكون بوابا على ضريحه وعلى العهد والمحبة. 15 من ربيع (كذا) الثاني عام 1318. عن إذن بوعمامة خلق الله."³

ويذكر الصحفي أن أبا أمامة بث جواسيسه للاستعلام، وكانوا يمدونه بالأخبار عن العدو الذي بدأ يتهيأ لمواجهته في سبتمبر، ولنا في ذلك دلائل واقعية. نجد من هؤلاء الأربعة مقدمين المذكورين في مختلف المراجع وهم: مرزوق السروري والطبيب الجرمانى والعربي ولد الطبيب

1 - هو أبو مدين شعيب بن الحسين الإشبيلي (ت 589هـ/1193م)، خرج من الأندلس ودرّس وتصفو في فاس ومنها خرج إلى الحج. وعاد إلى فاس ومنها انتقل إلى بجاية، حيث كثر تلاميذه. خُص بدراسات تناولت سيرته وانتاجه الفكري. بقي في بجاية حتى استدعاه السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور (1184-1199م)، وتوفي وهو في طريقه إليه - بالقرب من تلمسان - ودفن في حي العباد. (عن: عبد الحكيم مرتاض، أبو مدين شعيب دفين العباد بتلمسان - حقائق حول غياب المعالم الزمنية في سيرته - مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة وهران 2، المجلد 8/2002، المجلد 8/ العدد 2، (16) 2021، صص 18-26.

2 - أبوبكر محمد بن مولاي أحمد المعصوم، 68 سنة، إمام متقاعد وكيل ضريح سيدي بومدين، المواجهة بتلمسان في 18-9-1995، ت 2002.

3 - Centre des archives nationales, IBID. - زيارتنا للأرشيف الوطني الفرنسي بإيكس أن بروفانس يوم 4-4-2015. وتوافق السنة الهجرية المذكورة التاريخ الميلادي التالي: 12 أوت 1900. حين كان الشيخ على أطراف بلدة فكيك المغربية بعد عودته من لدلول.

وبلقاسم ولد لزغم،¹ وغيرهم من الأفراد الذين لا نعلم أسماءهم. وقد سارع أحمد ولد القاضي باشاغا فرندة- بمساعدة جواسيسه الذين بثهم بين القبائل الموالية للشيخ- إلى إعلام السلطات الفرنسية في 6 أبريل 1881 بوجود مبعوثين من الشيخ إلى كل من قبائل منطقة البيض وسعيدة وتيارت، منهم قبائل الطرافي والرزائية والاحرار يدعوهم للجهاد ويوصيهم بالاستعداد لحمل السلاح.²

5-ذكر المقال مسيرة الشيخ بوعمامة، (في العنوان الثالث) وهو في الواقع قام بمسيرتين نحو الشمال الجزائري متحديا القوات الفرنسية المكونة من أربعة طوابير، والتي كانت منتشرة في كل الجهات لمطاردته ومنع اتصاله بسكان الشمال الجزائري. قام بالمسيرة الأولى في جوان 1881 أي بعد معركة تازينة التي كانت وبالا على القوات الفرنسية، وتم ذلك في الفترة بين 30 ماي و21 جوان، انطلقت قوات الشيخ من الابيض سيدي الشيخ مروراً بفرندة وشرقي معسكر لتعود إلى بوسمغون (23 يوما). وقام بالمسيرة الثانية في شهر جويلية 1881 وانطلق من مشرية يوم 5 جويلية مروراً بالخير والشط الشرقي لتعود إلى مديسة في 14 جويلية، وتم شرق الشط مواصلة سيرها حتى بلدة التواجرجنوب شرق مشرية التي انطلقت منها.³ ولم تتمكن منه القوات الفرنسية بطوابيرها الضخمة التي كانت تحاصر المنطقة وهي أربع طوابير ومعها قوات "القوّم" المستنفرة للغرض نفسه.

وها هي صحيفة البرهان تكتب عنها ما يلي: "ومال جنوده نحو الشمال ومر بين الصفوف الفرنسية حتى اقتحم الأماكن المزروعة (فرندة- سعيدة) وبلغ مقاطعة الحلفاء وليس بها عساكر فرنسية فحمل عليها..." وأضاف الصحفي أنه أحرق قريتين، ولكنه لم يبين من هم ساكنة القريتين والتي لم ترد في الكتابات الفرنسية، قد يكون القصد هو مهاجمة ورشة الحلفاء في بلدة خلف الله الواقعة إلى الجنوب من مدينة سعيدة، وذلك يوم 11 جوان 1881 التي كانت تستغلها الشركة الفرنسية-الجزائرية، وحطم منشآت الشركة بهدف التأثير على

1 - يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980، ص 67.

2-Bezy le citoyen, Insurrection du sud oranais, publié par le citoyen bezy, Oran collet 1884, P: 35.

3 -عبد القادر خليف، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ص: 73-79.

السكان الأوربيين. وتم قتل وأسر العديد من الرجال. وكان معظمهم من الإسبان. يقول قرول أن بوعمامة "لم يعلم بهذه المذبحة (كذا) سوى عند وصوله إلى الاعوج فسرح كل الأسرى..."¹

العنوان الثالث: ويشمل أماكن وأعلام، منها ذكر لمواقع حضرية كمغرار وسعيدة وجيريفيل، وسنضيف هنا بلدة فكيك المغربية التي ذكرت في العنوان السابق. وذكر بعض القادة الجزائريين الذين أشار إليهم بشخصيات مهمة، ومن الفرنسيين ذكر قادة عسكريين كانت لهم علاقة بحركة الشيخ بوعمامة، كينوسنتي- ديتري- سيريز.

فمن الأماكن نذكر ما يلي:

1- بلدة فكيك المغربية: والتي جعلها ملجأ له كلما ألم به الفزع، فهي ثابتة لأشك في ذلك؛ لأنها كانت المنطلق الذي تركه ليستقر في بلدة مغرار التحتاني سنة 1875، فهي مستقره الأول في الأراضي المغربية، وفيها استقر أسلافه من عرش أولاد بلحُمة في القرن الثامن عشر بعد مغادرتهم نواحي البيض بالأراضي الجزائرية.² باستثناء بعض الفترات التي عارض فيها سكان فكيك إقامته فيها لأنه سيجلب لهم القوات الفرنسية- كما كانوا يعتقدون- وقد أورد أحد الكتاب المغاربة -ومن خلال الرواية الشفوية- "أن الفيجيجيين عندما حل بوعمامة وسطهم وألح عليهم في الالتحاق بصفوف أتباعه لمحاربة الفرنسيين أجابه أعيانهم في مجلس جمعه وإياهم بهذه الجملة: "الْحَيْطُ حَيْطٌ وَالْحَيْطُ حَيْطٌ"، ومعنى ذلك أنهم سكان مستقرون وأصحاب منازل إذا داهمهم الفرنسيون لا يقدرّون على الفرار فتحل بهم كارثة في الأرواح والممتلكات، إن هم ضعفوا عن مواجهتهم، أما بالنسبة له ولأتباعه ساكنة الخيام فإنهم يمسون بفجيج ويصبحون في بلاد غيرها."³ كما أن السلطان المغربي أمر سكان المدينة بعدم السماح للشيخ بالإقامة بينهم، إذ أنه لا خير لهم فيه وذلك سنة 1902 عند رجوعه من منطقة دلدول بالجنوب الجزائري.

ومهما يكن فقد "كان على اتصال دائم بسكان بلدة فكيك، حيث يستقر عدد من أولاد بلحُمة بخاصة وأولاد سيدي الشيخ بعامة، بالإضافة إلى أتباع الطريقة الشيعية من

1 -Graulle E. Insurrection de Bouamama (Avril 1881), Editions Charles-lavauzelle, Paris 1905, P:76.

2 -Palaska, Les ouled Belhorma, bulletin trimestriel de la société de géographie et d'archéologie d'Alger 1906.

3 -أحمد مزبان، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الوادي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، الرباط 1988، ص: 497.

الفكيكيين ومن قبائل مختلفة؛ وكان يرأس هذه القبائل ويربط الصلاة مع السكان البدو والحضر على السواء..."¹

2- مُغرار التحتاني هي مقر إقامة الشيخ جاء في الصحيفة أن أبا أمانة يقيم في مكان "يدعى مغار، وهو مجمع النخيل وتبعد عن جبريفيل بمائتي كيلومتر". والواقع أن القصد بذلك هو بلدة مُغرار التحتاني الواقعة على بعد خمسين كيلومتر إلى الجنوب من مدينة عين الصفراء. وهي التي استقر بها سنة 1875 قادما إليها من بلدة فكيك المغربية ومؤسساً بمساعدة السكان زاوية شيخية. وهي التي انطلق منها معلنا الجهاد سنة 1881 في اتجاه بلدة البيض التي يتواجد بها المركز العسكري الفرنسي في المنطقة، وقد التقى الجمعان: قوات بوعمامة والقوات الفرنسية شرقي بلدة الشلالة وغربي بلدة البيض، وكانت موقعة تازينة التي يسميها الفرنسيون معركة "مولاك" حيناً ومعركة الشلالة حيناً آخر.

وبلدة مُغرار التحتاني هذه تقع اليوم في ولاية النعامة جنوباً وتبعد عنها بحوالي 140 كم، تعتبر من قصور المنطقة، ذات طابع عمراني مميز. يعود تاريخ نشأتها إلى عصور قديمة سابقة للوجود الإسلامي. يتكون سكانها من حضر يدعون بـ "القصوريين"، ويتكلمون اللهجة الأمازيغية التي تدعى محلياً بـ "الشلحة" ويمتهنون حرفة البستنة وتربية بعض الحيوانات، ومن بدو يتنقلون خلف مواشهم على أطراف البلدة بحثاً عن الماء والكأ، منهم بعض الأعراس من العمور، ومنهم أولاد سيدي التاج وهم الفرع الثاني لأولاد بلخُرمة قبيلة الشيخ بوعمامة التي ارتحلت إلى فكيك منذ زمن، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

وأهم منتوج فاكهاني في البلدة هو التمر، وأشهرها نوعاً "أغراس" و"الفقوس"، وهي تمر محلية ممتازة. يقام فيها موسم (وعدة) سيدي التاج في شهر أكتوبر من كل سنة، وهو تجمع لقبائل المنطقة إحياء لذكرى أسلافهم المرابطين، بما تشهده البلدة من ألعاب الفروسية وإقامة سوق تجاري متنوع، والتقاء الوجهاء لحل النزاعات بين القبائل والأفراد، وإقامة مآدبات الإطعام مجانية طيلة أيام الموسم وهي غالباً ثلاثة أيام، ويصادف الموسم شهر أكتوبر من كل سنة، وينظم في الأسبوع الموالي لموسم سيدي أحمد المجذوب المقام في بلدة عسلة بالولاية

1 -عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010، ص: 108.

نفسها. سميت البلدة بـ "قلعة الشيخ بوعمامة" ابتداء من سنة 1995 تخليدا لذكرى مقاومة 1881 التي تزعمها الشيخ بوعمامة.

تتواجد على أطراف البلدة رسومات أو نقوش صخرية، وهو ما يدعى محليا بـ "الحَجْرَة المكتوبة". أشهرها رسم "أم البرايم" إلى الجنوب من البلدة، تعود في تاريخها إلى عصور قديمة قبل أن يعرف الإنسان الكتابة، فكانت الرسوم تعبر عن حياة الناس وتتضمن شعورهم، وهي امتداد للنقوش الموجودة على طول جبال الأطلس الصحراوي.

وإذا كانت هذه هي بلدة مغرار التحتاني سابقا، فهناك مغرار الفوقاني وهي الواقعة في الطريق الوطني الرابط بين وهران شمالا ومدينة بشار جنوبا، وتقع جنوب مدينة عين الصفراء بستين كيلومترا، وهي أيضا واحة بها بساتين للخضر والفواكه وبعض أنواع من التمور. يتميز مناخ البلديتين بالصحراوي الجاف لوجودهما إلى الجنوب من جبال الأطلس الصحراوي، رغم تبعيتهما لولاية النعامة الموجودة في أراضي السهول المرتفعة الغربية.

3-جيريفيل هي مدينة البَيْضُ حاليا. تقع على أرض مرتفعة ذات نشاط رعوي للأغنام تبعد عن وهران بـ 371 كم إلى جنوبها الشرقي. بنى فيها الفرنسيون مركزا عسكريا للربط بين مدينتي معسكر والاعواط في سنة 1852. كان المكان يسمى قبل دخول الفرنسيين بـ البيوض، وصلها الجنرال جيرى سنة 1845 ووجد بالمكان بقايا بناءات قديمة. وفي سنة 1861 سميت بـ "جيريفيل" كجزء من عمالة وهران. وفي 22 أبريل سنة 1881 كان مقتل الضابط وانبرير نائب رئيس المكتب العربي للمدينة، الذي كان الشرارة التي عجلت باندلاع المقاومة بالجنوب الغربي الجزائري. وفي سنة 1890 قسمت المنطقة الإستبسية الغربية إلى قسمين: جيريفيل وعين الصفراء.

ومن الأعلام الذين ذكرهم:

1- إينوسنتي (العقيد): ويسميه المقال مرة بـ "الكولونل اونسنتي" ومرة أخرى يسميه "الجنرال انوسنتي". جاء في المقال أن القوات الفرنسية التقت بقوات الشيخ لكنها انهزمت أمامه، وتحدث عن أسر الكثير من المهام (كذا)، وعن القتل ذكر مائة قتيل ومثله من الجرحى. والواقع أن إينوسنتي كان نائبا للجنرال كولونيون دانسي (Collignon Dancy) الذي خرج من بلدة تافراوة من جنوب مدينة سعيدة على رأس طابور عسكري في اتجاه الجنوب الوهراني

للقضاء على حركة الشيخ بوعمامة. وعند الوصول إلى مدينة جيريغال (البيض حاليا) مرض قائد الطابور فخلفه نائبه العقيد إينوسنتي الذي اتجه على رأس الطابور نحو مفرار التي يتواجد بها الشيخ بوعمامة، والذي كان يمثل الخطر الداهم على الفرنسيين من خلال إرسال مقدميه للتحضير للقيام بحركة ضدهم. والتقى الجمعان في موقعة تازينة في (19 ماي 1881)، وانهزم الطابور الفرنسي- كما سلف القول- مما جعل القوات الفرنسية تنسحب وتتجه نحو الشمال مارة ببلدة الشلالة فعسلة فالنعامة، بدلا من متابعة قوات الشيخ ومطاردته لو كانت منتصرة. وقد تم استبدال إينوسنتي بالجنرال ديتري (Détie) وهو في طريق العودة.

وجاء في الصحيفة أن "الجنرال انوسنتي قائد إحدى الفرق الأربع السابقة الذكر قد رجع إلى جيريغال في انتظار أبي أمامة لأنه اعتقد هجومه عليها غير أن أبا أمامة قد عدل عنها إلى شركة الحلفاء كما ذكرنا." والواقع أن إينوسنتي لم يعد إلى جيريغال بعد معركة تازينة، بل سار في الطريق الموصل إلى شمال المنطقة كما ذكرنا أعلاه. وأنه لم يكن من بين رؤساء الطوابير الأربعة التي حاولت محاصرته ومنعه من الاتصال بسكان الشمال، وهذا بعد نهاية معركة تازينة. أما قادة هذه الطوابير فهم: طابور جانان (Jannin)- طابور وزيني (Zwiny)- طابور برونو تيير (Brenetiere)- طابور تاردي (Tardieu).¹

وقد ذكرت صحيفة (le réveil de mascara) ليوم 11 جوان 1881 أن العقيد إينوسنتي عاد إلى مدينة معسكر رفقة الأركان العامة وبعض ضباط القناصة، واستلم قيادة القسم بعد أن ترك طابوره في يد ضباط آخرين.²

2 ديتري: (1828-1899) هو بول ألكسندر ديتري (Paul Alexandre détrie)، جنرال فرنسي، شهد عدة معارك في المستعمرات الفرنسية. حصل على رتبة ملازم سنة 1853، انتقل مع قواته إلى الجزائر وترقى إلى رتبة ملازم أول سنة 1855 وفي سنة 1862 ذهب إلى المكسيك ونصب نقيباً. وفي سنة 1871 حصل على رتبة ضابط شرف، وفي 1856 عين عميدا، ثم قائد لفيف شرف سنة 1880، ودخل في الفترة من ماي إلى جويلية 1881 كقائد طابور أثناء الحملة ضد بوعمامة

1 -عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، المرجع السابق، ص78-79.

2 -عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 72.

في الجنوب الوهراني. وفي سنة 1884 عين برتبة لواء، وفي سنة 1893 عين قائدا لمقاطعة وهران.¹

3- سيريز: (Sérez) (1889-1820) جاء في مقال الجريدة أن الجنرال سيريز بعث بأربع فرق "للإحاطة بأبي أمامة، الفرقة الأولى كانت بقيادة إينوسنتي، والذي حمل على أبي أمامة، لكنه تكبد خسائر فادحة..." إنه الجنرال سيريز (Général Jean batiste Cerez)، ولد في ليموج بفرنسا، عسكري منذ 1842 مر بمختلف الرتب العسكرية كضابط، حل بالجزائر سنة 1848، حيث خدم في المكتب العربي وفي الشؤون العربية بعدة مدن جزائرية منها وهران- تيارت- مستغانم. عمل كقائد طابور، وفي سنة 1854 تمكن من القبض على الشريف الغزواني بنواحي تيارت. عمل قائد فيلق الرماة سنة 1859، ثم قائد الفيلق الثالث في باريس. وفي سنة 1869 أصبح عقيدا في دائرة الاغواط، كما سير إدارة الارباع، وفي سنة 1871 رقي إلى رتبة عميد وحكم نيابة وهران ثم معسكر.

شارك في مواجهة انتفاضة المقراني سنة 1871، وفي سنة 1879 كان على رأس القطاع الوهراني من حيث واجه انتفاضة بوعمامة. وقد سارع أعوان الاستعمار بإخبار الفرنسيين بما كان ينوي الشيخ تجاههم. وها هو أحمد ولد القاضي باشاغا فرندة يخبر السلطات الفرنسية بوصول مبعوثي بوعمامة إلى قبائل ناحيته. وكان "أكثرهم إلحاحا على الجنرال سيريز في اعتقالهم بكل عجلة اجتنابا لما يمكن أن ينجم عن وصولهم إليها من تمرد وعصيان".² ففي عهده انطلق طابور كولونيو دانسي من تافاروا في اتجاه البيض للقبض على بوعمامة، وفي عهده وقعت معركة تازينة (19 ماي 1881)، كما جرت مسيرة الشيخ بوعمامة الأولى في عهده (شهر جوان 1881)، حين كانت تحاول عدة طوابير عسكرية محاصرته ومنعه من الاجتياز نحو المنطقة التلية دون نتيجة.

"وفي جويلية 1881 عاد الجنرال سيريز إلى فرنسا واستلم قيادة قطاع مونبيليه إلى أن تقاعد كضابط كبير للفياف الشرف، وتوفي في 4-2-1889".³

1- موقع: fr.wikipedia.org اطلع عليه يوم 2023/9/3 الساعة 16 مساء.

2- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المرجع السابق، ص: 74.

3- موقع إلكتروني: military-photos.com اطلع عليه يوم 2023-9-4 الساعة 12 زوالا.

4-قدور بن حمزة وسليمان بن قدور: جاء في آخر فقرة من المقال ما يلي: "قالت وقد خابر أبو أمامة رئيسين مهمين بالاتحاد معه على الثورة فإن أجاباه إلى ذلك فإن قوته تكون في غاية الأهمية". بدأت الفقرة بكلمة "قالت" والمقصود هو الصحيفة المعتمد عليها، وهي التايمز اللندنية. وأما المقصود بـ "رئيسين مهمين" فهما دون شك زعيما أولاد سيدي الشيخ في تلك الفترة اللذان كانا ما يزالان في مواجهة مع القوات الفرنسية، وهما سي قدور بن حمزة وسي سليمان بن قدور، وهما من قادة مقاومة "انتفاضة" 1864.

أ-فأما سي قدور بن حمزة (من أولاد سيدي الشيخ الشارقة): فهو أخو سليمان بن حمزة مفجر الثورة سنة 1864 بنواحي البيض، والذي خلفه أخوه سي محمد بن حمزة (أبريل 1864- فيفري 1865). وبعد مقتل سي محمد خلفه أخوه أحمد بن حمزة (فيفري 1865- أكتوبر 1868)، ثم عين سي قدور بن حمزة أخوهما بعد موت أخيه أحمد في الفترة بين 1868- 1897¹ وبذلك يعتبر هو من أمسك القيادة أطول مدة في مواجهة القوات الفرنسية.

عين سي قدور بن حمزة بعد موت أخيه أحمد بالطاعون في أكتوبر من سنة 1868، خاض عدة معارك ضد القوات الفرنسية، منها معركة القارة الغشوة في 10 فيفري 1869 التي شارك فيها البوشيخيون الغرابة بزعامة سي الحاج العربي، كما شارك سي البشير زعيم التجانية بعين ماضي. وخاض معركة ماغورة في أبريل من سنة 1871 مع سي معمر بن الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة وبمشاركة سليمان بن قدور أيضا.

وقد شهدت هذه الفترة تطاحنا بين الإخوة الشارقة والغرابة مثلما حدث في معركة المروة بوادي غير ومعركة المالحة ومعركة السدرة، وأبدع فيها شعراء نقائض بين الطرفين سجلها الشيخ حمزة بوبكر في مؤلفه حول سيدي الشيخ.² وقد هاجمت القوات الفرنسية زمالة سي قدور بن حمزة في 23 ديسمبر 1871 في هضبة المنقوب جنوب البنود وهزمته وأسرت عائلته وعائلة سي الأعلى عمه. واستمرت الحركة بين مد وجزر إلى أن عقدت الهدنة بين الطرفين في 20 ماي سنة 1883، تضمنت عدة بنود أهمها عودة قبائل أولاد سيد الشيخ إلى أراضيهم

1 - Hamza Boubakeur, Un soufi algérien sidi cheikh : sa vie, son œuvre, son rôle historique, ses descendants (ouled sidi cheikh), 1

éditions Maisonneuve et Larose, Paris 1990, P : 181-193-217.

-Hamza Boubakeur...IBID, P : 226-227.2

وتعيين قادة أولاد سيدي الشيخ في مناصب بالمنطقة وإعادة بناء قبة سيدي الشيخ التي هدمت في أوت سنة 1881 من قبل نيقري...

ورغم ذلك بقي سي قدور بعيدا عن الأراضي التي يسيطر عليها الفرنسيون رغم تعدد الاتصالات بين الطرفين. وفي مارس من سنة 1892 التقى بالحاكم العام كامبون بالقليلة، وعاد على إثرها سي قدور إلى جبريفيل (البيض) وقبل بالمنحة التي منحت له وقدم خدماته للفرنسيين إلى أن توفي سنة 1897.

في هذه الفترة أبدع الشاعر الشعبي محمد بلخير (1835- 1905) قصائد في مدح أولاد سيدي الشيخ في معاركهم وانتصاراتهم على القوات الفرنسية، وكان رفيقا لسي قدور بن حمزة حتى النهاية. وكان له دور مهم في الإشادة بالمجاهدين والحط من الخونة والعملاء (المزانات)، وقد سارت الركبان تتغنى بشعره عدة عقود في المنطقة الجنوبية الغربية بعامة.¹

ب-وأما سي سليمان بن قدور فقد ظهر في عهد الشيخ بن الطيب زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة وكان يرافقه في حملاته. استسلم للفرنسيين سنة 1868 وعينوه آغا على البيض في عهد سي أحمد بن حمزة، وفي سنة 1869 أضاف الفرنسيون له أغوية قبائل حميان. وقد ساور الفرنسيين الشك في إخلاصه وأبقوه بدون منصب، وفي ديسمبر 1871 نقلوه وأتباعه الحميانيين إلى سهل ملانة بنواحي وهران خوفا من أن ينقلب عليهم. وفي شهر فيفري 1873 قرر إخلاء مكان إقامته بضواحي عين تموشنت والتجأ إلى الأراضي المغربية ومعه عائلته والمقربين منه.

وقد سعى الفرنسيون للتدخل لدى السلطان المغربي للقبض عليه وإبعاده، فكلف بذلك شيخ الطريقة الوزانية-الطيبية الحاج عبد السلام سنوات 75/1874، وكان سي سليمان أحد مريدي طريقته فلبى طلبه وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية في مدينة مكناس المغربية ثم في فاس تحت رعاية شيخ الطريقة.²

Boualem bessaih, Etendard interdit, la bibliothèque arabe Sindbad, Paris 1946, P :19.1

اختص شعره بالغزل ومدح سيدي الشيخ والاستنجا به وتمجيد معارك أولاد سيد الشيخ وفي مقدمتهم سي قدور بن حمزة. ولم يمدح الشيخ بوعمامة أبدا بل إن جل شعره حول سيدي الشيخ (يسميه أحيانا بوعمامة) الذي بالغ في مدحه والتوسل به في عدة قصائد.

2- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر 1996. ص ص: 163-210.

وفي سنة 1882 تخلص سي سليمان من المراقبة المغربية وعاد لخوض المعارك ضد الفرنسيين. وأغار على بعض أعوانهم في الأراضي الجزائرية. وقد جرح في معركة نفيش بينما قتل ابن عمه سي معمر زعيم الغرابة. وفي سنة 1883 استقر بالقرب من قبائل آيت وشاؤون المغربية، الذين كانوا يكونون له العداء، واستضافوه عندهم، وجاء رفقة 12 من مساعديه، وعند تقديم المأدبة أعطيت إشارة الغدر وتم قتل كل الضيوف.

ج- أما علاقة الشيخ بوعمامة بهتين الشخصيتين: فلم تكن على ما يرام. لقد أعلن الشيخ المقاومة سنة 1881 في المنطقة نفسها التي كانت مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى (1864) ما تزال مستمرة. لذلك رأى زعماء هذه المقاومة أن الشيخ بوعمامة جاء للتشويش عليهما، وبخاصة وأنه رجل متدين خرج من زاوية مغرار الشيخية. فلا شك أنه سيستميل إليه مختلف قبائل المنطقة. فاستعمل كل منهم طريقة للضغط على الشيخ وتخفيفه. فأما سي قدور بن حمزة زعيم الشراقة؛ فينقل لنا سي حمزة بوبكر صاحب كتاب: "صوفي جزائري: سيد الشيخ"، أن أحد الرواة من شعانية البرازقة وهم الشيخ الجليل بن دهيبة، قد روى له سنة 1939 ما يلي: "التحقت بالشيخ بوعمامة وعمري عشرين سنة، انطلقنا من بني ونيف في اتجاه الشمال، وعند العصر توقفنا للصلاة بإمامة الشيخ بوعمامة. وبعد برهة أعلمنا الكشافون "الشواف" أن هناك قوات قادمة في اتجاهنا. أخذنا سلاحنا وأرسلنا رجلا نحو "القوم" القادمين للاستفسار. وبعد مدة عاد يخبرنا بأنه سي قدور، اتجه الشيخ بوعمامة مباشرة نحو سي قدور، وصل إلى جوار جواده وسلم عليه، وسار به نحو خيمته، وقد استقبل رجاله بدورهم من قبل رجال بوعمامة.

بعد ذلك بدأ سي قدور يلقي الأسئلة على سيدي بوعمامة: من قال لك بإعلان الجهاد؟ أنت لست أهلا لهذه المهمة. إن عَلمَ سيدي الشيخ نحن الذين ندافع عنه، ولست أنت. وهؤلاء البرابر الذين تجرهم معك دون تجربة هل هم حقا مجاهدون؟ أليسوا مجرد عصابات. إن الحرب شيء جدي. لماذا انتظرت حتى ضعفنا نحن لتأخذها أنت؟ إنك غير مبال بالأمر....¹ وبعد تناول الطعام افترق الرجلان دون نتيجة.

أما سي سليمان بن قدور فلم يتوان عن الانتقاص من الشيخ بوعمامة كسابقه، فقد رفض حركة الشيخ بوعمامة واعتبرها مناوئة له، وأن الشيخ غير مؤهل ليقود الجهاد، فهو من نسب خاقد ولم يكن لذويه القريبين ذكر في تاريخ العائلة الشيخية. لذلك حاول القبض عليه -كما تقول الروايات الشعبية- فقد قصد زالة الشيخ بوعمامة، فاستقبله الشيخ وأعد له ضيافة كبيرة لائقة، وأحسن استقباله، وفي الليل تسرب الشيخ من المكان وترك زمالته لسي سليمان بكل ما فيها من متاع، بعد أن علم رغبته في الاستيلاء على ما في الزاوية، وخرج بأسرته الصغيرة المتكونة من زوجته ربعة وولده الطيب، حيث سيمر ببلدة فكيك ومنها يقصد دلدول بالجنوب الجزائري، ليبقى هناك حتى سنة 1894.¹ تقول إحدى الروايات (ميمونة)، وهي من عائلة الشيخ بوعمامة، ما يلي: "خرج سيدي بوعمامة من الخيمة صحبة زوجته لالة ربعة وهي تحمل ابنها سيد الطيب ومعهم ابنته فاطمة ويحملها سيدي عبد القادر بن الجودي على كتفه. وحملوا معهم قربة ماء. لقد تحاشوا إهراق دم المسلمين وتركوا كل شيء مبني، لم يكونوا خائفين لكنهم لم يرغبوا في الصدام مع الإخوة..."²

يرى أحد الكتاب البوشيخين، اعتمادا على إحدى المخطوطات، أن الشيخ بوعمامة رأى سيد الشيخ في الحلم يقول له: "إذا أردت العز الدائم فاخرج من الزاوية واتركها لإخوانك دون أن تقاوم..."³ فخرج منها خائفا يتربص. ويؤكد ذلك أحد أبرز شيوخ الطريقة في الوقت الحاضر، من زاوية السخونة بولاية سعيدة، الذي يذكر أن سي سليمان بن قدور جاء للاستيلاء على زاوية الشيخ بوعمامة، فتركها له وخرج هو وزوجته وابنه الطيب ليلا.⁴

1- عبد القادر خليفي، المناوون للمقاومة الشعبية، خصوم الأمير وبوعمامة أنموذجا، أعمال الملتقى الوطني حول إستراتيجية الثورة في مواجهة الحركات المناوئة، المنعقد بولاية البليدة يومي 24-25 أبريل 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007، ص: 55-88.

2- بوعامر ميمونة بنت عبد الرحمن، من أولاد سيد التاج، تجاوزت القرن، المقاتلة بعين الصفراء في فيفري 1995، توفيت في 1996. ويقول الشيء نفسه الراوي قاسمي بوعمامة ولد محمد، 87 سنة، من قبيلة الكرامة. كان والده مقدما عند الشيخ، وقد توفي سنة 1945 عن عمر يناهز 86 سنة. المقاتلة في بلدة المحررة من ولاية البيض في 22 أكتوبر 1995.

3- أحمد بن عثمان حاكمي، الشيخ بوعمامة: تضحيات ومواقف وجهاد، مطبعة الصقر، وجدة 2011، ص: 164.

4- الزوي محمد الطيب بن المختار، شيخ زاوية السخونة من ولاية سعيدة (منذ سنة 2007)، المقاتلة في الابيض سيدي الشيخ سنة 1995. الذي يذكر أن زاوية الشيخ بوعمامة تعرضت للحرق كليا ثلاث مرات: مرة عندما دمرها الفرنسيون في مغرار التحتاني بعد معركة تازينة. ومرة عندما استولى عليها سليمان بن قدور. ومرة عندما احترقت نارا وهو في دلدول.

وقد تمكن الرجلان سي قدور بن حمزة وسي سليمان بن قدور من جلب عدد مهم من أتباع الشيخ بوعمامة إليهما بعد أن خيرهم الشيخ بين البقاء معه أو الذهاب عنه. حيث كان -كما يقول الرواة- يرفض أن تسيل دماء البوشيخييين على يديه. يقول أحد الرواة "كان سيدي بوعمامة ينادي ببنائهم للخير، ولكن هُما كل واحد يقول أنا نَحْكُم."1 ويقول غيره من رواة الشيخ بوعمامة أن سيدي بوعمامة "مولى دين وخَيْرُ وهُما أهل دُنْيَا".

جاء في كتاب مارتان: "أربعة قرون من تاريخ المغرب" ما يلي: "دفعت الغيرة من بوعمامة، الذي تبوأ مكانة مرموقة في الجنوب الغربي، كلا من سي قدور بن حمزة وابن عمه سليمان بن قدور زعيما أولاد سيدي الشيخ الشراقة الغرابية، واتفقا بينهما على تفكيك العلاقة القائمة بين الشيخ والقبائل التي جاهدت إلى جانبه وتابعتة في تنقلاته. وتوصلوا إلى إبعاده عن ليركاه وحيدا.."²

ويقول أحد أبناء رجال بوعمامة، والذي ولد والمجاهدون في طريقهم إلى المغرب: "انزعج منه أولاد سيدي بن الدين (أولاد سيدي الشيخ) وقالوا: بوعمامة سلبنا قبائل الشعامية وتبعته مختلف الأعراش. فانطلق سي سليمان بن قدور راكبا جواده -كما يقول الوالد- وكَوَّن "حَرْكَة"³ وقرر الذهاب إلى بوعمامة لقتله أو القبض عليه لأنه أخذ عرب الشرق. وانطلق بجموعه، وعند وصوله بإدره بالقول: أنت بوعمامة أخذت منا عرب الشرق وأخذت الشعامية وأنت تود معاداتنا؟ أنت لست زاوية. وبدأ ينتقص من شخصه، والشيخ صابر محتسب. وطلب من أتباعه التمهّل. و رد على اتهامات سليمان بن قدور بقوله: أنا لم أجبر أحدا على إتباعي، هيا بنا نزور جدنا سيدي سليمان بن بوسماحة، فنزل سي سليمان عن جواده ودخل القبة بحذائه ومظله لم يزع شيئا. أكلوا وشربوا ونادى بوعمامة رجال الأعراش: "يا الفقرا يا لعراش، من أراد

1 -رقيق حسن بن محمد، المذكور أعلاه، توفي سنة 2001. اعتمدنا على الرواية الشفوية لانعدام الكتابة من قبل الجزائريين في تلك الفترة. أما الكتابات الفرنسية فتركز أكثر على الصراع مع القوات الفرنسية، وهي التي استغلها المؤرخ يحي بوعزيز في كتابه عن ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين.

-Martain. A.G.P. Quatre siècles d'histoire Marocaine...librairie félix alcan, pris 1923, P:208.2

3 -حرّكة: يسكون الراء بالعامةية الجزائرية في القرن التاسع عشر تعني فرقة عسكرية يكونها السكان، كما يقال لها: "غزو".

البقاء معي فليبق ومن أراد الذهاب عني فليذهب مع سي سليمان بن قدور، فنحن أهل خير ولا نريد إلا الخير"، فانقسم الناس، منهم من غادر المكان ومنهم من بقي معه.¹ وتتفق مختلف روايات خلف أتباع الشيخ من قبائل المنطقة الجنوبية الغربية الذين حاورناهم (108 رواية) على الخصومة التي كانت قائمة بين هؤلاء الزعماء، وهو الشيء الذي كان سببا في أفولهم جميعا؛ فلو اتفق الرجال الثلاثة -كما جاء في الصحيفة- حقا لكانت الأمور هي غير ما حدث، ولكن سياسة فرنسا فرق تسد كانت لها اليد الطولى في كل ما حدث.² وقد جاء في مؤلف "ثورة بوعمامة" لعبد الحميد زوزو أنه "كان من الطبيعي أن تتعكر العلاقة بين الرجلين بسبب المنافسة التي كانت بينهما حول زعامة أولاد سيدي الشيخ، والتي حالت دون استجابة سي قدور بن حمزة لدعوة بوعمامة إلى الثورة ضد الفرنسيين سنة 1894. وإن لم تصل إلى درجة المواجهة بين الطرفين، فإنها ظلت في مستوى الاتهام..."³ وهو ما يمكن أن نمثله لما جاء في الصحيفة من أن بوعمامة لو اتفق مع زعيمين آخرين لكان الأمر في المستوى المطلوب.

وقد حدث صراع كبير بين أولاد سيدي الشيخ الغرابة والشرافة استغلته فرنسا للإيقاع بين الطرفين لقضاء مصالحها في حينها. فقد كانت بينهما "حزازات وصراعات دموية ناشئة عن تناقضات في المطامح تتمحور كلها حول الزعامة، أدت ببعض الزعماء الغرابة إلى التعاون مع الفرنسيين... وسيحاول الفرنسيون تعميق هذا العداء والتنافس لخدمة أهدافهم في التوسع، ومن خلاله إضعاف الفرعين معا بإثارة الضغائن الماضية وإغراء زعماء الغرابة ضد الشرافة..."⁴ وإزاء هذا الوضع ومع توقف مقاومة الشرافة سنة 1883 وما أعقبه من عودة أولاد سيدي الشيخ لعدد من خيامهم إلى داخل التراب الجزائري، وانسحاب بعضهم من

1- معاشو الطيب بن محمد، 89 سنة، من أولاد قطيب العمور، المقابلة في بني ونيف ماي 1995. توفي والده محمد سنة 1950 وعمره 90 سنة، وتوفيت والدته سنة 1973 وعمرها 112 سنة. يقول الراوي (زغدان النعيمي بن بزيان 83 سنة، المقابلة في بني ونيف في ماي 1995) أن معاشو الطيب هذا ولد بالجيل الأخضر عام 1903. وأبوه في رفقة الشيخ بوعمامة.

2 - هناك طائفة واحدة تتحاشى التطرق إلى ذلك الصراع وتلك الخصومات، إنهم خلف الشيخ بوعمامة، الذين يحاولون إبقاء اللجمة مع كل الطوائف، وهم يسرون اليوم زاوية عين بني مطهر بشرق المغرب الأقصى، حيث استقر سي الطيب بن بوعمامة بعد وفاة والده. (زيارتنا للزاوية سنة 1999 بعين بني مطهر ولقاؤنا بسي حمزة شيخ الطريقة وابنيه العربي وبلخرمة)

3 - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908، الجزء الثاني، ص: 28.

4 - أحمد مزبان، فجيج... مرجع سابق، ص: 490.

مناصرة بوعمامة على إثر تدخل زعيبي قدور بن حمزة وسليمان بن قدور ثم وفاته فيما بعد، قد أثر سلبا على جذوة الحماس الذي قوبلت به حركة الشيخ بوعمامة كمجدد للطريقة الشيخية من جهة وزعيما للمقاومة المسلحة من جهة ثانية ضد الفرنسيين. وسيجبره على المراوغة والتذبذب في علاقته بالسلطة الفرنسية منتظرا تغير الظروف لصالحه. فقد حصل على الأمان سنة 1899 ولكنه لم يرفضه ولم يقبل به، واستمر على ذلك الحال إلى أن دخلت القوات الفرنسية الأراضي المغربية مدينة وجدة سنة 1907. وهي السنة التي شهدت صحته تدهورا كبيرا ليتوفي في السنة الموالية في 1908.

ورغم ذلك تتحدث بعض الصحف الفرنسية عن اتفاق بين الزعماء الثلاث من أجل إعداد لغارة على أعوان الفرنسيين، وبخاصة جريدة (Echo d'Oran) التي تحدثن عن ذلك في بعض أعدادها من شهر ديسمبر 1881 منها: يوم 17-15-13- على أن الثلاث موجودون في جهات تابلالة ونواحي تافيلالت، وأنهم يعدون لذلك. ولم تتطرق إلى أفعال قاموا بها في هذا المجال. خامسا- مصادر المعلومات المعتمدة في الصحيفة: يذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن "ثورة" بوعمامة لم تلق الاهتمام اللازم داخليا كما لاقت ذلك ثورات جزائرية أخرى، رغم أنها استغرقت مدة زمنية طويلة: "وقد استغرقت ثورة بوعمامة أطول مدة في تاريخ الثورات الجزائرية، ولكنها مع ذلك أقلها جميعا شهرة. فقد دامت أكثر من عشرين سنة (1881-1904) .. وقد ناضل الشيخ بوعمامة كل هذا العهد الطويل بشجاعة وثبات."¹ وفي الوقت نفسه لاقت هذه المقاومة الاهتمام في الخارج؛ فمن غير فرنسا هناك الصحافة في إيطاليا وإسبانيا وبريطانيا والدولة العثمانية. يذكر سعد الله أن بعض الكتاب يسمي بوعمامة "عبد القادر الثاني"... (التايمز 11 جويلية 1881، ص: 5) "ورغم أن بعضهم الآخر لا يعطونه كل هذه القيمة فإنهم يعترفون بأن بوعمامة قد تمتع بسمعة عظيمة بين الجزائريين."²

ومن هذه الصحافة الأجنبية استقى كاتب مقال بوعمامة معلوماته التي وظفها للتعريف به، وبخاصة صحيفة التايمز اللندنية. ويأتي ذلك في قوله: "وقد وقفنا في الجرائد الأخيرة (أي آخر المستجدات) على ترجمة حاله وتفصيل بعض وقائع.. وكذلك: " قال مكاتب التيمس ما

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص: 56-57.

2- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 56. (عن: أوغستين بيرنار، بوعمامة، في -ك.د.ك.-/ م 11 (1901)، ص: 622-623)

معناه... "وقوله: "قال الكاتب المذكور.. "وقوله: "وذكر في الديباجة.. "وعن الصحيفة يقول: "إلى أن قالت:...." و"قالت وقد..."، فاعتماد الصحفي بآئن على جريدة التايمز اللندنية في ذلك الوقت أي سنة 1881.

وقد نقل سعد الله تعليقا للصحيفة نفسها كما يلي: "إنه لم يحدث قبل بوعمامة أن زعيما ثائرا يستولي (كذا) على ثلاثمائة أسير فرنسي، وألف غرارة من الشعير والقمح وغيرها من الغنائم المتنوعة."¹ والمقصود هو الانتصار الذي أحرزه المجاهدون في معركة تازينة التي جرت يوم 19 ماي 1881.

وإذا أردنا معرفة سر هذا التساؤل من الصحيفة البريطانية عن الأوضاع في الجزائر المستعمرة من قبل فرنسا؛ فإننا نجد تفسير ذلك بسبب الصراع بين الدولتين في المنطقة العربية وبخاصة حول مصر، وذلك منذ حملة نابليون بونابرت عليها سنة 1798 وما نتج عن معركة أبي قير بعد ذلك. فكل من الدولتين كانت تحاول إظهار عجز الأخرى في مختلف الميادين عندما تجد لذلك سبيلا.

ورغم أن الكاتب لم يعتمد على صحافة الدولة العثمانية في المقال، فمما لا شك فيه أن المعلومة كانت رائجة في الأوساط العثمانية وفي البلاد العربية على السواء التي كانت تخضع لها ولو كان ذلك اسميا، وبخاصة وأن البلاد العربية كانت ذات علاقات متميزة مع تلك الإمبراطورية الإسلامية الوحيدة في ذلك الوقت، والتي كانت ما تزال تحاول الحفاظ على رونقها رغم ما لاقت من قبل الدول الأوروبية الناهضة من غزو وتوسع في مختلف البقاع.

وقد اهتمت الصحافة العثمانية بما كان يجري في الجزائر. "ونقلت صحيفة صدى وهران (Echo d'Oran) ما جاء في جريدة "ترجمان الحقيقة" الديمقراطية المعروفة، تحت عنوان "بيان سياسي" للعالم الإسلامي، تبين فيه الصحيفة دور الإسلام في وحدة المسلمين، وتدعو إلى مواجهة الاستعمار الغربي، ثم تنتقل إلى القول: إن الجزائريين المسلمين لا يعرفون النوم ولا الراحة، إنهم يعانون من الاسترقاق المخجل ومن الفضائح والتخريب، لقد التجنوا إلى الصحراء

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 56. نقلا عن جريدة التايمز لندن 11 جويلية 1881، ص: 5.

حيث يدافعون اليوم والسلاح بأيديهم، عن شرفهم وأملهم وعن عقيدتهم ووطنهم في مواجهة الفرنسيين.¹

إن الحديث عن الجزائر من صحيفة عثمانية في القرن التاسع عشر له عدة دلالات: فقد كانت الجزائر تمثل جزءا مهما من الإمبراطورية العثمانية طيلة ثلاثة قرون، وقد سُلبت منها سنة 1830 من قبل الاستعمار الفرنسي، في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تتقهقر ونالها من القهقرى ما نالها، الشيء الذي جعل الدول الغربية تنعتها بالرجل المريض؛ مع كل ذلك كانت تحلم بعودة الجزائر إلى حظيرتها، كما كان المتنورون من الجزائريين يقصدون البلاد العثمانية سواء لطلب النجدة أو للاستقرار في أراضيها.

موقف الصحيفة من شخصية بوعمامة ومقاومته: بعد استعراض المحتوى المقال يتضح لنا أن الصحيفة كانت من مشجعي حركة الشيخ بوعمامة، فهي تتحدث عنه من موقع الذب عنه والإعلاء من شأن مقاومته. وتصفه بالرجل الصالح المشتهر في جهات الصحراء. وعن شخصيته فهو شديد السطوة على رجاله، لكنه رفيق بهم لين العريكة معهم في مواطن أخرى.

وعن مواجهاته مع الفرنسيين تذكر أنه بعد انتصاره على الفرنسيين وصله نبأ رغبتهم في لقائه في الزمان والمكان المعين، فلم يكن منه إلا أن توعدهم باللقاء في المكان والزمان والحال الذي يريدونه. وتصفه بعبد القادر الثاني وهو ما يعني الإكبار به والإعلاء من شأنه، إذ لا تخفى مكانة الأمير عبد القادر الذي خاض حربا دفاعية طيلة خمسة عشرة سنة، كبد فيها العدو الفرنسي الخسائر والمآسي. وهذا مما لم يكن خافيا على سكان البلاد العربية، التي سمعت به وهو ينافح الاستعمار في الجزائر، ثم وهو وفي ملجئه ومستقره ببلاد الشام عالما متصوفا عاملا لضم الصفوف مدافعا عن الحق، حتى وفاته سنة 1883 بدمشق الشهباء السورية. وتذكر خسائر الفرنسيين من قتلى وجرحى، وتهديدتهم من قبل الشيخ بوعمامة في جهات كثيرة كما حدث في سعيدة وفرندة وغيرها..

وأن أعماله بهرت العقول وشخصت إليه الأبصار. وأنه خابر زعيمين من بلاده للاتحاد معه وخوض المعارك ضد القوات الغازية. وأنه لو انضم إليه الزعيمان لازدادت قوته وكانت في غاية الأهمية. ولم تذكر الصحيفة القوات الفرنسية بأي شيء إيجاب؛ بل ها هي تذكر تقهقر

1 -عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص: 178. ترجمة عن صحيفة: Echo d'Oran No 4816 du 3 décembre 1881.

القوات الفرنسية أمام قوات الشيخ ومثال ذلك: "قال الكاتب المذكور فهذه رزية لم يدهم الفرنسيون بمثلها في الجزائر منذ سنين كثيرة فتقهقر من بقي من تلك الفرقة بسرعة". لقد كانت النهضة التي عاشها المشرق العربي في القرن التاسع عشر بتأثر من حملة نابليون ومن التنظيمات الإصلاحية التي شهدتها الدولة العثمانية من جهة، واحتدام الصراع الدولي على أقطار المشرق العربي من جهة أخرى، أثره على النفوس في البلاد العربية وبخاصة مصر التي كانت تقود حركة النهضة في مختلف المجالات. ولذلك لا غرو أن نجد الصحيفة عندما تذيع أخبار الشيخ بوعمامة فهي إنما تذيع حركة مناوئة للاستعمار الأوربي الذي كانت تخشاه مختلف الأقطار العربية آنذاك. خاتمة نستنتج مما سبق ما يلي:

- أن الصحافة الدولية كانت على علم بما كان يجري في الجزائر المستعمرة سواء كانت عربية أم أوروبية، وكان الشيخ بوعمامة أحد الزعماء الذين ذاع خبر مقاومتهم خارج الوطن. - أن الأخبار كانت تصلها من مراسلين أوروبيين كانوا مقيمين في الجزائر، كما كان للصحافة الفرنسية دور في نشر أخبار الحركة.

- أن الفرنسيين لم يتمكنوا من إخفاء هزائمهم أمام قوات المقاومين الجزائريين. - نلاحظ اهتمام الصحفي المصري بأوضاع الجزائر ونقلها إلى قراء الجريدة دعما للمسلمين المضطهدين في الجزائر تحت سيطرة قوة فرنسا الاستعمارية.

- كانت البلاد المصرية التي صدرت فيها الصحيفة من البلدان السباقة إلى إنشاء الصحافة في عهد حكم الخديويات الذين حكموها منذ مجيء محمد علي في حملة عثمانية لطرد الفرنسيين من مصر، وتواصل حفدته من بعده في السلطة الحاكمة هناك. وفي هذا العهد من نهاية القرن التاسع عشر ظهرت الصحافة في البلاد العثمانية بعامة وفي مصر بخاصة، هذه الأخيرة التي تأثرت بحملة نابليون التي أدخلت كثيرا من الوسائل الحديثة. وكان لمحمد علي، مؤسس هذا النظام، دور كبير في توسيع نطاق المعارف بين السكان.

- ورود مبالغات في الصحيفة عن أخبار بوعمامة شبيهة إلى حد كبير بالمبالغات والكرامات أو خوارق العادات التي نجدها في الرواية الشفوية. وإذا كان للرواية الشفوية ما يصوغ لها ذلك لأنها تعبر عن الوجدان الشعبي وعن ما يطمح إليه الإنسان المضطهد، وعن ما يريد تحقيقه في

الخيال بتمنياته وتجاوزهم قدرة العقل والمنطق؛ مما لم يستطع تحقيقه في واقع الناس؛ فإنه من غير المبرر أن نجد ذلك في الكتابات السياسية أو التاريخية أو غيرها مما يرتبط بواقع الناس. من ذلك ما جاء في الصحيفة:

1- معرفة الشيخ بوعمامة بثلاث لغات أوربية في نهاية القرن التاسع عشر، وفي منطقة نائية في الجنوب الجزائري وقبل وصول وتحكم الفرنسيين في المكان !!!
2- حجه "مرار 1 إلى مكة المكرمة حجات متتالية" وأنه كان يمر بتونس التي "يقيم بها فترة طويلة." !!!!

3- تعرفه على "الجمع الكثير من كبار القواد الفرنسيات ومأموريها المدنية والعسكرية ومع استحكام تودده إليهم وتردده عليهم.." - وهذا قبل أن يعلن الجهاد ضد الفرنسيين، أي قبل سنة 1881 !!!!

ويبقى التساؤل المطروح في هذا المجال هل جاء ذلك نقلا عن صحيفة التايمز اللندنية أم هو من بنات أفكار الصحفي !!!! والمشكلة الأخطر أن هناك كتابا معاصرون يستغلون هذه المعلومات في أبحاثهم ويجعلونها من الأمور المسلمة.



الصفحة الأولى من صحيفة البرهان ليوم 9 رمضان 1298 هـ / 4 أوت 1881 م.

الهوامش:

أرشيف:

-Centre des archives nationales, Aix-en-Provence. Cote : 30H78.

- جريدة البرهان (المصرية) عدد 14/ السنة الأولى/ الإسكندرية. 9 رمضان 1298 هـ/ 4 أغسطس 1881 م

مصادر باللغة الفرنسية

-Bezy le citoyen, insurrection du sud oranais, publié par le citoyen bezy, Oran collet 1884.

-Graulle E. Insurrection de Bouamama (Avril 1881), éditions Charles-lavauzelle, Paris 1905.

شهادات

-أبوبكر محمد بن مولاي أحمد المعصوم، 68 سنة، إمام متقاعد وكيل ضريح سيدي بومدين، المقابلة بتلمسان في 18-1995.

--بوعامر ميمونة بنت عبد الرحمن، من أولاد سيد التاج، تجاوزت القرن، المقابلة بعين الصفراء في فيفري 1995، توفيت في 1996.

-الدايم جلول بن أحمد، 84 سنة، "طالب" المقابلة في بلدة مفرار التحتاني شهر أوت سنة 1996.

- رقيق حسن بن محمد، 61 سنة، من أولاد سيدي الشيخ، المقابلة بوهران في أوت 1995.

- الزوي محمد الطيب بن المختار، 54 سنة، باحث في تراث الشيخية وفي تاريخ الشيخ بوعمامة، من أولاد سيدي الشيخ، مدير المدرسة القرآنية بزواية الابيض سيد الشيخ المركزية (سنة 1995)، شيخ زاوية السخونة حاليا 2023، المقابلة في الابيض سيد الشيخ سنة 1995.

- معاشو الطيب بن محمد، 89 سنة، من أولاد قطيب العمور، المقابلة في بني ونيف ماي 1995.

مراجع باللغة العربية

-أحمد بن عثمان حاكمي، الشيخ بوعمامة: تضحيات ومواقف وجهاد، مطبعة الصقر، وجدة 2011.

-أحمد مزبان، فجيج، مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، الرباط 1988.

-أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981 و1983.

-عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2010.

- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط 1979.

-يعي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البعث، قسنطينة 1980.

مراجع باللغة الفرنسية

-Arlette Welty-Domon, J'inventerai mon peuple, les éditions de Paris 1995.

- **Boualem bessaih**, Etendard interdit, la bibliothèque arabe Sindbad, Paris 1976.
- **Hamza Boubakeur**, Un soufi algérien sidi cheikh sa vie, son œuvre, son rôle historique, ses descendants Ouled sidi-cheikh, éditions Maisonneuve et larose, Paris 1990.
- Martain. A.G.P.** Quatre siècles d'histoire Marocaine...librairie Félix alcan, Paris 1923.

مقالات باللغة الفرنسية

- Palaska**, Les ouled Belhorma, bulletin trimestriel de la société de géographie et d'archéologie d'Alger 1906.

..مواقع إلكترونية

- موقع: (hindawi.org) بعنوان: "أخبار جرائد الإسكندرية من سنة 1881 إلى سنة 1886" اطلع عليه يوم 28 أوت 2023 الساعة 14 مساء. من كتاب "تاريخ الصحافة العربية"، لفليب دي طرازي، مؤسسة هنداوي. (PDF)

- موقع: fr.wikipedia.org اطلع عليه يوم 2023/9/3 الساعة 16 مساء.
- موقع: military-photos.com اطلع عليه يوم 2023-9-4 الساعة 12 زوالا.